اتبعت سياسة القبضة الحديدية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، من اعتقالات واسعة إلى إغلاق جامعات وصحف وزيادة حظر التجول. سبق ذلك قرار سلطات الاحتلال بإنشاء الإدارة المدنية في الضفة وغزة استباقاً للمحادثات مع مصر حول الحكم الذاتي وتطبيق كامب ديفيد من طرف واحد، ووضعت أوامر الحكم العسكري بمصاف القوانين الأردنية والمصرية وبالتالي تسهيل الاستيطان الاستعماري وإلحاق دائم للضفة وغزة.

وعلى قدر آخر من سوء الطالع اندلعت اشتباكات بين حركة أمل والحزب الشيوعي اللبناني، وبين حركة أمل واليسار الفلسطيني في مناطق عديدة وأسفر ذلك عن عشرات القتلى وضعفهم من الجرحى. وانتقدت الحركة الوطنية قيادة فتح لاتخاذها موقفاً محايداً حيال النزاع مع أمل ولدعمها الميليشيات الإسلامية في طرابلس، وانفجرت عدة عبوات في بيروت حصدت عشرة قتلى وخمسة وعشرين جريحا وسيارة أخرى مفخخة حصدت ثلاثين قتيلا وخمسة وثلاثين جريحا... واشتباكات بين جناحي حزب البعث وبين فتح وأنصار سوريا في طرابلس حصدت خمسة وعشرين قتيلاً وجرح خمسة وتسعين، وتزعزع التحالف الفلسطيني – اللبناني ومنع الحزب الاشتراكي التقدمي الحليف الوفي لمنظمة التحرير، أي وجود عسكري فلسطيني في منطقة الشوف الستراتيجية. وفي وقت كانت السماء فيه ملبدة بنذر الحرب كانت الثورة تعيش في جغرافيا ليست جغرافيتها الوطنية، بما يعينه ذلك من تعقيدات، وفي مجتمع فلسطيني مشتت في المنفى ومنفصل عن المجتمع الفلسطيني في الداخل بما له من استحقاقات في لحظة الحرب والمساومات المحتملة. فالثورة كانت أشبه بجهاز دولاتي حائر بين دولة المنفى ومجتمع الثورة، بما تعنيه دولة المنفى من التزامات كبيرة ومساوئ ومفاسد بيروقراطية ومنافع ريعية، وبالتالي استخدامية للطاقات النضالية الهائلة التي انخرطت في صفوف الثورة، دون إشراك حقيقي للجماهير في القرار أو تربيتها لتكون قادرة على الاحتجاج ونقد الأخطاء، ناهيكم عن عدم الذهاب للعمق في المنظورات العقلانية والاجتماعية، بما جعل البنية الذهنية والاجتماعية أقرب للبنى التقليدية التي يسهل إعادتها لبيت الطاعة الجبري والمنظورات الغيبية وتكريس التخلف الاجتماعي والثقافي بما لا يرقى إلى متطلبات الصراع مع عدو عصري وعنصري في آن.

وبعد الاعتراف بالتطور العسكري فقد نهش البنى التنظيمية الضعف والشللية وصراع مراكز النفوذ والاستزلام وتخلف العمل الإداري. والقيادي في فتح خالد الحسن أشار لهذا الجانب (في عبقرية الفشل) بأن القيادة (تقاوم بشدة العمل الجماعي والتخطيط للطوارئ والنزوع للعلاقات الداخلية العدائية وعلاقات التبعية وعدم الثقة بأية معلومات إلا من مصادر موالية، والعزوف عن